جهد فولتير وهيردر
في تطور فلسفة التاريخ

أ .م .د محمد حبيب سلمان الخطيب

جامعة الكوفة/ كلية الآداب/ قسم الفلسفة

نور علاوي رسول سلمان

الملـخّـص

ان جهد فولتير وهيردر في فلسفة التاريخ اهم النظريات التي سبقت الفيلسوفين وايضآ ما اضافوه لكي يظهر لنا التاريخ على هذه الصورة التي هو عليها الآن وقد اهتم فلاسفة التاريخ بشرح وتطوير الثورات الاجتماعية والسياسية في عصرهم ووضع قانون عام للتنمية الاجتماعية بعد التغيرات والتحولات السريعة والعديدة التي شهدتها المجتمعات الأوروبية ومعرفة أسبابها ونتائجها، في محاولة لتطوير النظرية العامة لمسار التاريخ على أساس مبادئ عصر التنوير، والتي شجعت على المقارنة بين المجتمعات والحضارات البشرية واستنتجت قانون عام لتنمية المجتمعات والحضارات من خلال التحليل العقلي للبعد التاريخي وإعطاء الإنسان دور ومكانة وأهمية في مجرى التاريخ كعنصر اجتماعي

و فلسفة التاريخ ما هي الا نتاج الثورة الصناعية والثورة الفرنسية والثورة البرجوازية التي ساهمت في صياغة مفاهيم العقلانية والتقدم وأثرت على عقول الناس وتصوراتهم حول عملية التنمية الاجتماعية، وخاصة كتابات فولتير في فرنسا وهيردر في ألمانيا ومن أجل رؤية الجهد الذي بذله فولتير وهيردر في إضافة نظريات جديدة لشرح التاريخ أو تطويرها، نعمل على تعديل وانتقاد ما يجدون فيهما من ثغرات ونقاط ضعف، سوف نحاول ان نوضح في هذا البحث اهم النقاط الأساسية التي اعتمدها الفيلسوفين في سبيل تطور فلسفة التاريخ

الكلمات المفتاحية: (الأسطورة، الخرافة، الحكايات الخرافية، العناية الالهية، المدينة الأرضية، المدينة السماوية، العنصرية، بربري).

Summary

This research, entitled (The philosophy of History Development from Critical to Contemplative (Voltaire and Herder as Example)) dealt with the issue of the development of the philosophy of history from the emergence of the philosophy of history till the philosophers of history Voltaire and Herder and what they added to it to become what it is now. The philosophy of history appeared after development, linked to man, his growth, progress, and his connections with others, and this is the most important element that helped it develop by discovering new things that we could not know before, especially in the West. Voltaire is the first founder of the philosophy of history, as the term for this philosophy appeared with him as it came after him. Herder to complete this journey, and this research came to answer the questions, the most important of which is the question of how do peoples develop? What are the stages of human progress? Do the philosophers Voltaire and Herder have a relationship with the development of the philosophy of history? And what did he add to this philosophy in order to become what it is now? All these and other questions we answered in our research marked and divided into four chapters and the conclusion of the first chapter was a conceptual introduction containing four topics. The first topic was talking about the philosophy of history and we divided it into several points.

As for the second chapter, it was talking about Voltaire's philosophy of history, and it had four topics. The first topic is the methodological foundations of Voltaire's philosophy of history. The second topic is the theory of progress in human thought. The third topic is Voltaire's theory of progress. The fourth topic is Voltaire's position on the religious interpretation of history.

Keywords: (myth, myth, fairy tales, providence, earthly city, heavenly city, racism, barbarian)

مقدمة

لقد كانت فلسفة التاريخ نتاجًا للثورة الصناعية والثورة الفرنسية والثورة البرجوازية، والتي ساهمت في صياغة مفاهيم العقلانية والتقدم وأثرت على عقول الناس وتصوراتهم حول عملية التنمية الاجتماعية، وخاصة كتابات مونتسكيو. أصبح فولتير في فرنسا، وهيردر وهيجل في ألمانيا وفيكو في إيطاليا، وكذلك الفلاسفة الاسكتلنديين في نهاية القرن الثامن عشر في بداية القرن التاسع عشر، حركة فكرية مهمة أثرت بشكل مباشر على أفكار سان سيمون، كارل ماركس وأوغست كونت وآخرين، كما ان التفكير في التاريخ هو في الأساس التفكير في معناه، لأنه مغامرة إنسانية، وهذا التاريخ ليس فقط تنظيمًا لمراحل الزمن التي ننتقل فيها من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل، بل هو كذلك. تشكيل إرشادي يحدد معنى الحدث من خلال وضعه في سياقه الزمني، وهو أيضًا تشكيل نهائي يحدد اتجاه التاريخ نفسه، بينما يرسم ملامح مصير الإنسان. هل التاريخ يخضع لاتجاه ونظام؟ هل للتاريخ معنى أم أننا من نعطيه معنى؟ أما فرانسوا ماري أور دي فولتير المعروف باسم (فولتير)(*)، فهو أكبر مدافع عن فكرة التسامح الديني وحرية الرأي والتعبير، وأهم كاتب عرفته فرنسا في عصر التنوير والعقلانية العالمية وكان أول من صرخ في وجه ملوك أوروبا لوقف عار شن الحروب الدينية وأن يعيش الجميع في سلام كاثوليك وبروتستانت ومسلمين، وطالب بما أسماه التسامح العالمي بأن جميع الأديان والأديان. تعيش الطوائف في سلام جنبًا إلى جنب تحت حماية الأمم، أما هيردر فقد رأى أن لحظتين في التاريخ غير متساويتين، كما أن ومضتين من التاريخ لا تساوي الصوفي، أي أن مجرى التاريخ تقدمي، وأن كل مرحلة تتفوق على السابقة ولها طابع علمي. والأسس الطبيعية

ركزت بشكل أساسي على الحرية والوعي، لكن هذه الحرية وهذا الوعي يميلان إلى تحقيق هدف التاريخ

جهد فولتير وهيردر في فلسفة التاريخ :

لكي نطلع على الجهد الذي بذله فولتير وهيردر في إضافة نظريات جديدة لتفسير التاريخ او تطويرها العمل على تعديل ونقد ما يجدوه فيها من ثغرات ونقاط ضعف ومن ثم نعرض لعدد من النظريات السابقة لهم لنتمكن من معرفة جهدهم في تفسير التاريخ او حركات التاريخ.

أولآ: نظريات تفسير مسار التاريخ:

كان البحث في حركة التاريخ هو محور نظريات فلسفة التاريخ، التي اختلفت أسماؤها حسب العنصر الذي يتحرك فيه التاريخ. إن نظرية الجغرافيا التي تربط حركة التاريخ بالجغرافيا، والنظرية الروحية التي تربطها بقوة روحية، هي فكرة عليا ومطلقة، وهناك النظرية المادية التي تربط الحركة التاريخية بعوامل الإنتاج وعواملها. العلاقة مع القوى المنتجة .... الخ من النظريات [١].

١ - التفسير الخرافي للتاريخ:

الأسطورة والخرافة بينهما ترابط قوي، وهذا الترابط يولد عن اشتقاق الأسطورة من الخرافة، والاثنان حكايات شعبية تحيد العقل أو تتجاوزه وتضخم في إدراك الأحداث التاريخية واستخدام الرمزية والخيال، وفي معظم الحالات أحداث التاريخ الأسطوري هي أحداث وقعت بالفعل ولكنهم لم يرووا ولا ينتقلوا كما هم،

بل أضيفوا إليهم من الخيال . تظهر الأساطير في فترات التاريخ المهمة وفي النكبات والكوارث، والفترات التي يمر بها المجتمع في التحولات والأساطير، وتلاحظ أنها منسوجة حول إبطال التاريخ، أي أنها لا تقدم تفسيرًا للتاريخ، تعكس الحكاية الشعبية مجموعة من الأساطير مثل سيرة عنترة بن شداد وبني هلال والظاهر بيبرس، الأسطورة تعبر عن انتشار الجهل والأمية وتنسب عادة إلى شخصيات القديسين والأبطال، والخيال دائما مرتبط بها [٢].

والفرق بين الأسطورة والخرافة هو: ان الأسطورة هي موضوع الإيمان واليقين، وهذه هي السمة الوحيدة التي تميزها عن الحكايات الخيالية، وأن الأصل الأسطوري للأشياء كان أقدم من الأصل التاريخي، حيث تمثل الأسطورة المحاولات الأولى لإظهار الترتيب الزمني للأشياء والأحداث، والوقت الأسطوري ليس محددًا، ولكنه وقت أبدي، وعندما نحل الأفكار الأسطورية نجد حقيقة الأحداث التي تمثل عالماً غير عالم الأسطورة، أو الخيال، فهو التاريخ الأول، أو التاريخ البدائي للطبيعة ؛ لأن معظم الأساطير لها أصول في الطبيعة ؛ لذلك تمثل الأسطورة سجلاً تاريخياً مفصلاً للأحداث التي وقعت عبر ماضي الجماعات والشعوب، وسجلات التاريخ مليئة بالأساطير، وهذا يؤكد أنه تاريخ أولي أو بدائي، يُروى بغرض الاستفادة منه، وأخذ العبرة والحكمة لبناء الحاضر والمستقبل [٣].

اما الخرافة رأى بعضهم أن الخرافة هي حكاية بطولية مليئة بالمبالغات والخوارق، لكن أبطالها الأساسيين هم بشر أو جن، وليس للآلهة دور فيها، وقد ورد في الحكايات الشعبية العربية أن (أسطورة) كان رجلاً من عائلة الجن البكر، فظل فيها إلى الأبد ، وأعادوه إلى البشرية، فحدث الناس برؤية من الأعاجيب، وقال الناس عن ذلك: (حديث الأسطورة)، وبهذه الأساطير أصبحت مصدرًا مهمًا للتفكير، ويتمثل

ذلك في استجابة الناس لما لا يمكن فهمه أو فهمه من قبل الناس لفعل قوي آخر غير موجود في الواقع، وتشكيل إجابات جاهزة للعديد من الظواهر[٤].

اما تعريف الحكايات الخرافية فهو :هي مجموعة من الحكايات المختلفة التي تلتقي ببعضها البعض مرة أخرى، وتشكل سلسلة صغيرة من الموضوعات تسمى حوادث الكلمات، حيث أنهم يستمدون وجودهم من أصل واحد، إن مدى اليقين في الحكايات الخرافية موضع جدل بين الفلاسفة والعلماء، حيث وصفها بعضهم بأنها غير عقلانية وعبثية، وبالنسبة لآخرين كانت مصدر الحكمة، ومنهم من رأى فيها تعبيرا عن انعكاسات الإنسان الماضي ومشاعره وبقايا قواه وخبراته الشعرية [٥].

وقد تم تقديم عدة تفسيرات حول الأسطورة، من بينها، أن الأسطورة هي بنية أدبية متماسكة تجمع بين المعنى والرمز، وهناك من أعطى الأسطورة بداية التفكير الديني، وغيرها من علامات المعنى الاقتصادي، أو علامات الخلق للكون كتفسير لهذه الأساطير[٦].

اما علاقة التصورات بالإنسان :

ارتبطت هذه التصورات بنشاط الإنسان السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وكان أثرها واضحًا على حياته اليومية من خلال التأثير الكبير الذي أعطاه الإنسان له في التحكم في مصيره، مما جعلها أثراً بارزًا في حركة التاريخ و السيطرة على أحداثها وسلوكها كما في الملاحم القديمة (العربية واليونانية) وقد كانت المفاهيم الأسطورية للتاريخ بين القدماء تختلف كثيراً في إدراك الفرق بين معنى الأسطورة والخرافة الا ان الاثنين لديهما نفس التصور بين الناس، لكن الفرق بينهما كبير [٧].

٢ – نظرية العناية الإلهية:

سادت فكرة العناية الإلهية(*) في معظم الحضارات القديمة من حيث دور الدين في هذه الحضارات، لكنها تناولت بمفهومها معظم الشعوب مثل المصريين والبابليين والآشوريين والأكاديين ثم الإغريق واعتقدوا أن الإنسان جزء من الكون، ومن ثم ينطبق عليه ما ينطبق على الكون من القوانين، وان التعاقب الدوري هو واضح في ظواهر الكون، مثل تعاقب الليل والنهار، وتعاقب الفصول الأربعة، وتعاقب شكل القمر على مدار الشهر، وخلافة الحياة والموت للكائنات الحية، وكان هذا مظهرًا من مظاهر القوانين الصارمة أو فكرة عام كوني كبير، لكنها كانت في الحضارات القديمة شخصية أسطورية، كما هو الحال في تفسيرهم لظاهرة الطبيعة (٨). هذا في الوقت الذي يعترف فيه المؤرخون اليونانيون والرومانيون بوجود قوة مقدسة إلهية، لكنها لا تتدخل في مجرى التاريخ بحيث توجهها باتجاه قسري. بالأحرى، إنها الإرادة السامية التي تميز الإرادة الحرة للإنسان وتدعمها (٩).

اكتسبت نظرية العناية الإلهية طابعًا مسيحيًا بعد تطور المسيحية، وتبلورت في أعظم فلاسفة اللاهوت المسيحي، القديس أوغسطينوس، ثم ظهرت مرة أخرى كرد فعل على نهضة جاك بوسيه (١٠).

سان اوغسطين (٣٥٤ _ ٤٣٠ م) :يعتبر القديس أوغسطين أعظم فيلسوف مسيحي في العصور الوسطى، وهو صاحب التأثير الأعمق والأطول وتعتبره الكنيسة الكاثوليكية قديسًا، وكانت سلطته في الأمور اللاهوتية مقبولة عالميًا في العصور الوسطى اللاتينية، وظلت هذه السلطة في التقليد المسيحي الغربي بلا منازع حتى القرن التاسع عشر. كانت الظروف السياسية مهيأة لظهور نظرية تدافع عن المسيحية،

حيث كانت الإمبراطورية الرومانية على وشك السقوط، وكانت الفكرة الشائعة أن تفكك الدولة كان بسبب انتشار المسيحية حيث أضعفت دين الدولة و الآلهة الرومانية، لذلك دافع القديس أوغسطينوس عن المسيحية على أنها المثل الأعلى للدولة أو بالأحرى مدينة إله الأرض، وقال إن الشر دخل إلى العالم من خلال عصيان آدم، تمامًا كما يوجد اتجاهان في الإنسان: الميل إلى الحب إلى درجة الاستخفاف بالله، والميل إلى محبة الله لدرجة الاستخفاف بالنفس [١١]. رأى القديس أوغسطينوس أن الشر دخل إلى العالم من خلال عصيان آدم، وكما أن هناك نزعتين في الإنسان: الميل إلى حب الذات إلى درجة الاستخفاف بالله، والميل إلى محبة الله لدرجة الاستخفاف بالنفس، وكذلك في المجتمع توجد مدينتان: المدينة الأرضية أو مدينة الشيطان، والمدينة السماوية أو مدينة الله [١٢].

المدينة الأرضية أو مدينة الشيطان: يعيش فيها الناس بصفاتهم القائمة على الغرائز، وهذه المدينة قائمة على حب الذات، وفيها يعيش الأمراء والأمم الذين يخضعون للمدينة والسلطان بفخر، السلطة والقوة أو حتى النصر، فهذه المدينة لا تعرف الخلود [١٣].

المدينة السماوية او مدينة الله: وهذه المدينة لمن يعيشون حسب مشيئة الله برضا وقبول، وهي المدينة التي تقوم على محبة الله، وفيها يخدم الأمراء ورعايا بعضهم البعض في اتساع المحبة، اذ يطيع الرعية ، بينما الأمراء يشغلون أذهانهم بالتفكير للجميع، ووفقًا لهم، فإن الحياة الأبدية هي الخير الأعلى [١٤].

اعتبر أوغسطين أن مدينة الله اختلطت بمدينة الشيطان حتى ظهور نبي الله إبراهيم ثم تميزت المدينة السماوية وأصبحت في بني إسرائيل والمدينة الأرضية في جميع

الحضارات الأخرى التي بلغت ذروتها في الحضارة الرومانية، ولكن مع انفصالهم وتباينهم، كانوا يتقدمون معًا ويمهدون الطريق لظهور المسيح، مهد بني إسرائيل له، وقد مهدته الحضارات القديمة سياسيًا وفقًا لمرسوم العناية الإلهية [١٥].

وبذلك اعتبر البعض أن القديس أوغسطين هو مؤسس فلسفة التاريخ، لكن هذه النظرية لا يمكن قبولها من قبل أي شخص آخر غير المسيحيين وهي مجرد لاهـوت وقصص من خيال قديس [١٦].

جاك بوسويه (١٦٢٧ _ ١٧٠٤) [*] القرن السابع عشر :

يعد بوسويه هو الكنيسة بذاتها وذلك لأنه قسم التاريخ الى حقب على أساس ديني مستمد من الكتاب المقدس واهم احداث التاريخ عنده هي :هبوط آدم الى الأرض عام ٤٠٠٤ ق.م _وطوفان نوح عام ٢٣٤٨ ق.م _ودعوة إبراهيم عام ١٩٢١ ق. م ثم الكشف عن شريعة موسى عام ١٤٩١ ق.م _ وبعدها ظهور الرب يسوع المسيح، أما بالنسبة لأهم الحقائق بعد ظهور المسيحية، فهناك حالتان لتحول الإمبراطور قسطنطين إلى المسيحية عام ٣١٢ م، ثم توج البابا ليو شارلمان إمبراطورًا للرومان عام ٨٠٠ م [١٧].

لقد وصل تعصب بوسيه لهذه الرؤية، والذي يفسر التاريخ العام للأنانية ككل من هذا المنظور اللاهوتي، إلى حد أنه يقول: (ان الكنيسة هي جسم دائم للوجود لا يستطيع احد فصل نفسه عنه دون ان يضل عن الرشاد، فكل من اتحدوا معها وعملوا أعمالا تليق بعقيدتهم فهم على يقين من حياة ابدية) [١٨]. إذًا، فإن مادته التاريخية مستخرجة من الكتاب المقدس (التوراة)، وليس من وثائق التاريخ، والتاريخ به قوانين من صنع الإنسان تحكمها شعوبها قبل شريعة موسى ثم قانون سماوي منذ

موسى حتى النعمة الإلهية في المسيح [١٩]. وهكذا يتبين أن علماء اللاهوت لم يتجاوزوا مفهوم العناية الإلهية، بل قاموا بتضييقه وحصروه في سلطة الكنيسة الكاثوليكية، متجاهلين أو حتى تحط من قدر الحضارات القديمة من الصين إلى مصر، ثم كان من الطبيعي أن يتم رفض هذا التفسير الديني لتاريخ العالم، ومن المؤرخين، ليس فقط العلمانيين، ولكن أيضًا من بعض الكاثوليك أنفسهم، وبسبب ضيق الأفق لهذا التفسير، تم العثور على رد فعل عنيف للغاية بين مؤرخي التنوير بشكل عام وفولتير بشكل خاص [٢٠].

٣ – نظرية البطل في التاريخ :

تعتبر فكرة نظرية البطل في التاريخ من النظريات التي كانت موضع جدل بين فلاسفة التاريخ في العصر الحديث، على الرغم من أن جذور هذه الفكرة تمتد إلى عصور سابقة، حيث كانت إحدى القضايا. التي أولها المفكرون اليونانيون والروس بعض الاهتمام، وبغض النظر عن أصل هذه النظرية، يدور الخلاف حول صنع الأحداث التاريخية، وما إذا كانت الأولوية للأفراد (الأبطال)، أو للمجتمع، وهو أساس عمل البطل، وقاعدة انطلاقه في صنع وتغيير الأحداث التاريخية والحضارية، وكذلك تحديد مفهوم البطل وصفاته، والخصائص التي تميزه عن غيره من الرجال العاديين المليئين بتاريخهم [٢١].

(توماس كارلايل) يلخص منطق التاريخ بـ (فكرة البطل التاريخي، الاجتماعي، المتحضر). التاريخ هو تاريخ العظماء، وما حققوه من وعي وسلوك وحركة في عصرهم، والبطل هو الذي صنع مجتمعه، لا يفرض عليه، ولا يأتي من خارج سياقات المنطق التاريخ وفلسفته [٢٢] وتتجلى العبقرية في قيم موضوعية فعالة

ودور أساسي في التاريخ، لكن هذه العبقرية تتجلى أساسًا في ثلاث ركائز: الأولى في شكل الجمال، ويتم التعبير عنها في الفن وألوانه ومدارسه وصورته، والثاني يعبر عن المعرفة ويعكس الفلسفة والحكمة، والثالث للعبقرية على صورة الحقيقة يربط العدل بالتشريع ثم يشير إلى أن هذه المعرفة لها أبطالها ومشاهيرها [٢٣].

يختلف العبقري (صاحب الذكاء العالي) عن الآخرين لأنه يعاني من حالة من الاغتراب وعدم الملاءمة مع المحيط. ولهذا يصطدم بأهل معاصريه، أو يصدم من هؤلاء الناس، أو يسمع كلامًا يضايقه منهم، ويطلق على من يعارضه الأغبياء وغير المقبولين. العبقري يسيطر عليه الغطرسة مقارنة بالآخرين، وبالتالي لا يمكن فهمه عند معاصريه، لأنه شخص ينتمي إلى المستقبل وغير نهج جيله وتحرر من الإرادة وشخص تتعلم منه الإنسانية كثير. أنا سلوكي وغير عقلاني، ويحاول إبراز العبقرية، وهي حالة بشرية نادرة لا تتوفر لكل إنسان [٢٤].

٤ – التفسير الجغرافي للتاريخ (العلاقة بين البيئة والإنسان):

بدأت العلاقة بين البيئة والإنسان منذ خلق الإنسان على الأرض. هناك علاقة عضوية وحتى جدلية بين الإنسان والبيئة. مع مرور الوقت نلاحظ تجمع الإنسان في شكل مجموعات وظهور الأنظمة والحضارات. يبقى الأثر البيئي على الإنسان. يشير الكتاب المعاصرون إلى اليونان وإلى أحد الفلاسفة أبقراط الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد كما تناولها الفيلسوف ديمقراطيس والفلاسفة أرسطو وأفلاطون وهيرودوت [٢٥]. وان العامل الجغرافي هو العامل الرئيسي الذي يؤثر على حركة التاريخ، من خلال تأثيره المباشر على طبيعة الشعوب والمجتمعات. تعود الاختلافات الواضحة بين الشعوب والأمم في ثقافاتهم وأمزجهم وأنشطتهم إلى الاختلاف في

المناخ والبيئة الجغرافية. هذا هو سبب الاختلاف الذي نراه بين مجتمعات الدول المجاورة ومجتمعات البلدان الباردة، وكذلك بين مجتمعات الجبال ومجتمعات السهول والأراضي الزراعية [٢٦].

مونتسكيو (١٦٨٩ _ ١٧٥٥ م) [*] والنظرية الجغرافية: لقد فسر مونتسكيو حركة التاريخ تفسيراً جغرافياً كما انه درس باستفاضة، باستخدام الطريقة المنهج المقارن والمنهج التاريخي، كيف يتم تحديد نظام الحكم من خلال العوامل الجغرافية أو المادية أو الاجتماعية أو الثقافية، وهذا يعني ركود المجتمع وضعف قدرته على التطور نتيجة استقرار العامل الجغرافي إذا قيس بالعامل الثقافي [٢٧]. وأشار مونتسكيو إلى الارتباط بين الوضع الاجتماعي والبيئة، وقال إن أساس العبودية يرجع إلى طبيعة المناخ، وقارن بين الأنظمة الاستبدادية والنظام الجمهوري، والحرية التي لمست المرأة وعندما أشار إلى تعدد الزوجات في المجتمعات الاستبدادية.، والزواج الأحادي في الأنظمة الجمهورية [٢٨].

ثانياً: جهود فولتير وهيردر في تطور نظريات فلسفة التاريخ:

لقد كان للفيلسوفين فولتير وهيردر دور كبير في تطوير النظريات التي فسرت مسار التاريخ وتحركه نحو الأمام وفيما يلي سوف نذكر بعض من هذه الجهود .

١ _ انتقد (فولتير) نظرية العناية الإلهية كأساس لتحديد مسار التاريخ، وأطلق حملته ضد الكنيسة ورجال الدين من المؤرخين لأن نظريتهم احتوت على روح عنصرية متسامية وفكرة خرافية عن القدرية، يعكس الدور التاريخي الذي لعبه اليهود، كما يراه فولتير إنهم أكثر شعوب الأرض حقارة، قطاع طرق بربري

مكروهين، متخلفي، منحطي في الفقر، وقحي في الثروة تقول التوراة إنهم سيكونون شعب الله المختار أو أنهم منقذون الجنس البشري.

من ناحية أخرى، كشف (فولتير) عن خطأ الاعتماد على قصص العهد القديم وأخذها كأساس للتاريخ، ليس فقط لأن هذه القصص تبالغ في الاهتمام بالعبرانيين وتحتقر شعوب الشرق الأخرى، ولكن أيضًا لأن هذه القصص مشكوك فيها تاريخيًا فقد انتقد بشدة وجود الشر في العالم، إما لأن الله قادر على إزالة الشر من العالم أو لا، أو أنه يريد الشر أو لا يريده، أو أنه قادر ومريد فأذا كان قادر ولا يريد، فهذا ينقص من قدرته المطلقة، وإن كان يقدر ولا يريد، فهذا ينقص من قدرته وخيرته معًا، وإذا كان قادرًا على إزالته وأراد ذلك، فمن اين اتي هذا الشر للعالم [٢٩]. وفولتير الذي قوض (هدم) هذا التفسير منذ تأسيسه بانتقاد شديد للتوراة وقصصها كحقائق في التاريخ، وبالتالي فإن تاريخ العبرانيين، الذي بالغه اللاهوتيون في قيمته التاريخية، تراجع إلى مكانته الحقيقية، وهذا يفعل. لا ترتقي بأي شكل من الأشكال إلى مكانة أي حضارة في الشرق القديم [٣٠].

٢ _ كان فولتير مؤمنًا بنظرية التقدم في تفسير التاريخ وقد اتخذ "فولتير وغيره من المؤرخين العقلانيين" فكرة أن الكون والمجتمع يداران ميكانيكيًا، وهي فكرة توصل إليها الربوبيون بناءً على ما قدمه نيوتن من الحقائق الفلكية (وهي تعتقد ذلك) إذا كان الله يوجه الكون، فإنه يفعل ذلك من خلال ما وضعه هو نفسه من قوانين الطبيعة، أن كل شيء في تاريخ البشرية هو نتاج علاقة محددة بين السبب والنتيجة، وبالتالي رفض فولتير التفسيرات اللاهوتية التي تقول "يوجد إله متحكم يغير أو يوقف قوانين الكون دائمًا". لمعاقبة الأمير العاص أو الرد على صلوات وتضرعات الأسقف المخلص [٣١].

٣ _ آمن فولتير وهيردر بالتفسير المثالي التاريخ لان تصوراتهم للتاريخ مثالية لا تعتمد بشكل مباشر على الظروف الاقتصادية والاجتماعية لتفسير التاريخ ولا شك أن تاريخ فولتير كامل، ولذلك أظهر الاختبار أن الرجال يخضعون لعوامل داخلية تؤدي إلى السعادة أو البؤس، ومن أهم عوامل البؤس الحرب والتعصب الديني، ولذلك رأى فولتير أن أهم علاج لهذا الموقف هو إزالة قناع الوهم الكاذب من أعين الناس وترك لهم حرية التفكير، لأنه كلما فكر العقل، وعندما يتبادر إلى الذهن. تدرك أنه عندما تُترك هنا، يقل بؤسها (٣٢).

٤_ رأي فولتير في نظرية البطل تجسيد البطولة في الأعمال المفيدة للملوك والقادة والعلماء والفلاسفة العبقرية هي ما يميز البطل عن الآخرين وتقاس بمدى استفادة المجتمع من فعل هذا العبقري أو البطل وبناءً على آراء فولتير حول مفهوم البطل وأعماله، يمكن اعتباره من أوائل من ذكر نظرية البطل.

و في الرسالة الثانية عشر من رسائله الفلسفية حول النقاش الذي دار بين المجموعتين حول أي الرجال أعظم من الآخر، قيصر، ألكسندر، تيمورلنك، كارمويل، إلخ فأجاب بعضهم بقوله: إسحاق نيوتن أعظمهم بلا شك، أيد فولتير هذا القول الأخير، مؤكدًا أنه إذا كانت العظمة الحقيقية تقوم على تلقي عبقري عظيم من السماء واستخدام هذه العبقرية لتنوير الإنسان بنفسه والآخرين، فإن رجلًا مثل السيد نيوتن، الذي بالكاد يظهر مثله خلال عشرة قرون سيكون أعظم، ولأن هؤلاء السياسيين والغزاة الذين لا يخلو منهم قرن ليسوا إلا أشرارًا في الحقيقة، فنحن ملزمون بتكريم من يتحكم في النفوس بقوة الحق، وليس أولئك الذين يصنعون العبيد بالإكراه والظلم، وأنتم ترونا ملزمين لنقدم احترامنا لمن يعرف الكون وليس لمن يشوهه(٣٣).

٥_ اما رأي فولتير في التفسير الجغرافي للتاريخ فأنه يولي اهمية خاصة للعوامل الجغرافية ويبين ما هو اثرها على شكل المجتمع والحكومة ويشير إلى أنه إذا كانت هذه العوامل الجغرافية تؤثر على العوامل الثقافية أو الاجتماعية، فهذا يعني ركود المجتمع وضعف قدرته على التطور نتيجة استقرار العامل الجغرافي إذا قيس بالعامل الثقافي، لذلك يعتقد مونتسكيو أن العوامل الثقافية قادرة حقًا على دفع التاريخ البشري إلى الأمام وصناع الحدث الثقافي، سواء كان عالمًا أو فلسفة أو أي معرفة جديدة في أي اتجاه، هم صانعو التاريخ والتقدم [٣٤].

٦_ اما بالنسبة للتفسير الخرافي للتاريخ عند فولتير فقد انتقد فولتير الأساطير الموجودة في الكتب المقدسة، وخاصة اليهودية، والمعجزات التي قيل إنها حدثت دون انقطاع خلال تاريخ اليهود، وسمح لليهود بعبور البحر دون أن تلمس أقدامهم الماء ولإيقاف الشمس، وطريقة الإيمان بالمعجزات التي أسقطت أسوار أريحا عند نفخ الصور وغيرها الكثير [٣٥].

ولا يتوقف فولتير عند هذه النقطة في استجواب ومهاجمة الديانة المسيحية. بل يشكك في كل المعجزات التي ورد ذكرها في الكتابين المقدسين، ويعتبرها خرافات وأساطير يجب الحذر منها وعدم أخذها بعين الاعتبار بسبب تناقضها. إنه لا يرى أي شيء موثوق به في هذه الكتب المقدسة المسيحية باستثناء الأخلاق التي تعظ بها أيضاً[٣٦].

الخاتمة

أولاً: اعتبر فولتير من أوائل الداعين إلى المساواة بين جميع أفراد المجتمع، داعياً إياهم إلى التمتع بحقوقهم وحريتهم في مجال الدين والفكر.

ثانياً: لم يكن لعصر التنوير الفرنسي توجهات موحدة، بل اجتمعت فيه فلسفات مثالية ومادية وتوجهات دينية وإلحادية، لكن ما وحدها هو الرغبة في تغيير أوضاع الأفراد والمجتمع في مجالات السياسة والاقتصاد. وحقوق الإنسان وغيرها من الأشياء التي لمست جوهر حياة الإنسان وحقوقه وحريته التي سُرقت عبر العصور المظلمة بطرق عديدة. وكان رائد هذا الاستنارة العقل البشري وأحكامه.

ثالثاً: القرن الثامن عشر، الذي عاش فيه فولتير وهيردر، طغت عليه الميول المادية والحركات الفكرية الرافضة للميتافيزيقا والدين، بسبب هيمنة الميول والخلافات والتخلف والجهل بما خلق رد فعل على الميتافيزيقي والديني. الفكر والحكم السياسي السائد في تلك العصور.

رابعاً: لعب الصراع بين الطبقات دوراً في ظهور حركة التنوير، حيث كانت وسيلة للطبقة البرجوازية الغنية في نضالها ضد الطبقة الإقطاعية وأركانها الفكرية، والتي اعتمدت على السيطرة الروحية على قناعات الناس من خلال السلطة الروحية للكنيسة. اعتبرت الطبقة البرجوازية هذه الأفكار عقبة أمام تقدم الإنسان وحصول الإنسان على حقوقه المشروعة في الحياة وخياراته الفكرية.

خامساً: كان فولتير مؤسس المنهج العقلاني في كتابة التاريخ ودعا إلى اقتصار كتابة التاريخ على الفلاسفة فقط، لأنهم هم الأقدر على فهم حركة التاريخ والعوامل

المؤثرة في أحداثها، وفهم عميق للحركة التاريخية. دور التيارات الدينية ونظام الحكم وطبيعة المناخ في أحداث التاريخ.

سادساً: آمن فولتير بنظرية التقدم، وأن أحداث التاريخ تتقدم نحو الأفضل في مسارها التصاعدي، دون أن ننسى أن هناك انتكاسات استثنائية تحدث في ذلك المسار التاريخي، مثل انحطاط وتخلف الإمبراطورية الرومانية. بعد أن وصلت إلى مستويات عالية من التقدم.

* هوامش البحث *

* يعد فولتير كاتباً ومفكراً فرنسياً شهيراً ولد في باريس (١٦٩٤ _ ١٧٧٨) فرانسوا ماري أرويه دي فولتير وسمي بفولتير نسبة الى ارض صغيرة كانت تملكها امه وهي لأسرة بورجوازية. عبد المنعم الحفني: الموسوعة الفلسفية، ج٢، ص٣٤٩ _ ٣٥٠.

(١)هاجر دوير حاشوش: نظرية حركة التاريخ في الفكر الاسلامي الحديث تعدد الطرح ووحده المضمون، مجلة الأستاذ، العدد ٢١٣، ص ١٣٩.

(٢)مفيد الزيدي: المدخل الى فلسفة التاريخ، ط١، ٢٠٠٦، دار المناهج للنشر والتوزيع، مصدر سابق، ص ٦٠.

(٣)حامد عبد الحمزة محمد علي: جدلية التفسير الأسطوري للتاريخ، ص٢٧.

(٤)المصدر نفسه: ص٢٨.

(٥)زينب جبار شرهان: التفسير الخرافي والأسطوري للتاريخ، جامعة ذي قار، كلية التربية للعلوم الإنسانية، محاضراتي: https://www.muhadharaty.com/lecture

(٦)مفيد الزيدي: المدخل الى فلسفة التاريخ، ص ٦٠.

(٧)زينب جبار شرهان :التفسير الخرافي والأسطوري للتاريخ.

(٨)احمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٧٥ م ،مصدر سابق، ص ١٦٦ _ ١٦٧.

(٩)رأفت غنيمي الشيخ: فلسفة التاريخ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧ _ ١٩٨٨، مصدر سابق، ص٧٣.

(١٠)احمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، مصدر سابق، ص١٦٧.

(١١)عارف احمد اسماعيل: محاضرات في مدارس تفسير التاريخ،، دار الكتاب الجامعي، صنعاء، ٢٠٠٧ م، مصدر سابق، ص٩.

(١٢)احمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، مصدر سابق، ص١٦٨.

(١٣)عارف احمد اسماعيل: محاضرات في مدارس تفسير التاريخ، مصدر سابق، ص٩ _ ١٠.

(١٤)رأفت غنيمي الشيخ : فلسفة التاريخ، مصدر سابق، ص٧٩.

(١٥)احمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، ص١٦٨.

(١٦)عارف احمد اسماعيل: محاضرات في مدارس تفسير التاريخ، مصدر سابق، ص١٠ _ ١١.

* جاك بوسويه ولد في ريجون في فرنسا ودرس القانون في متز وعمره اثنا عشر سنة وقد تفرغ للاهوت. وقد أصبح قسيسا سنة ١٦٥٢م، وذاعت شهرته في باريس واعظاً دينياً يؤكد سلطة الكنيسة ويعارض حركات الإصلاح البروتستانتية. وكان وثيق الصلة بالبلاط الملكي في عهد لويس الرابع عشر وأصبح معلما لابنه ألف عدة كتب اشهرها (مقال في التاريخ العالمي).

(١٧)احمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، مصدر سابق، ص١٧٢.

(١٨)مصطفى النشار: فلسفة التاريخ نشأتها وتطورها من الشرق القديم حتى توينبي، نيويورك للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، ٢٠١٧، ، ص٧٩.

(١٩)المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

(٢٠)المصدر نفسه: ص١٧٣.

(٢١)زينب جبار شرهان: فلسفة التاريخ

(٢٢)توماس كارليل،: الأبطال، ترجمة: محمد السباعي، ص١٥.

(٢٣)مفيد الزيدي :المدخل الى فلسفة التاريخ، ط١، ٢٠١٦، ص٧٣.

(٢٤)المصدر نفسه: ص٧٤.

(٢٥)المصدر نفسه: ص٨٠.

(٢٦)صائب عبد الحميد: فلسفة التاريخ في الفكر الاسلامي، مصدر سابق، ص٨٨.

*مونتسكيو: هو واحدٌ من أهم فلاسفة عصر التنوير، وأول من نادى بتطبيق نظام فصل السلطات. ألهمتْ دراساته دستور الولايات المتحدة الأمريكية، وإعلان حقوق الإنسان، ودستور فرنسا بعد الثورة الفرنسية، وأثره واضح في أغلب دساتير الدول الديموقراطية والليبرالية.

مونتسكيو: روح القوانين

(٢٧)احمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، مصدر سابق، ص٨٦.

(٢٨)مفيد الزيدي: المدخل الى فلسفة التاريخ، ص٨٣.

(٢٩)احمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، مصدر سابق،١٨٠_١٨٤.

(٣٠)المصدر نفسه: ص١٧٣.

(٣١)هاشم يحيى الملاح: المفصل في فلسفة التاريخ، مصدر سابق، ص. ٢٩٨.

(٣٢)سليم سعادة: فولتير، مصدر سابق، ص. ٦٠.

(٣٣)مصطفى النشار: فلسفة التاريخ، مصدر سابق، ٥٥ _ ٥٦.

(٣٤)مصطفى النشار: فلسفة التاريخ، ص٥٧ _ ٥٨.

(٣٥)اندريه كريسون: فولتير حياته اثاره فلسفته ،مصدر سابق،ص٥٠.

(٣٦)مصطفى النشار: الفلاسفة أيقظوا العالم، مصدر سابق، ص ٢٣٩.

* المصادر والمراجع *

احمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٧٥ م.

اندريه كريسون: فولتير حياته _ اثاره _فلسفته، ترجمة، صباح محيي الدين، منشورات عويدات، بيروت _ لبنان ط٢، ١٩٨٤

توماس كارليل،: الأبطال، ترجمة: محمد السباعي

حامد عبد الحمزة محمد علي: جدلية التفسير الأسطوري للتاريخ

حامد عبد الحمزة محمد علي: اشتغالات فلسفة التاريخ من الاصول حتى الاصطلاح، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد الثامن عشر السنة السابعة، ٢٠١٥،

خالد فؤاد طحطح: في فلسفة التاريخ، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠٠٩م ،

رأفت غنيمي الشيخ: فلسفة التاريخ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧ _ ١٩٨٨ ،
زينب جبار شرهان: التفسير الخرافي والأسطوري للتاريخ، جامعة ذي قار، كلية التربية للعلوم الإنسانية، محاضراتي: https://www.muhadharaty.com/lecture/ .
صائب عبد الحميد؛ فلسفة التاريخ في الفكر الاسلامي، دراسة مقارنة بالمدارس الغربية الحديثة والمعاصرة، دار اله،
عارف احمد اسماعيل المخلافي: محاضرات في مدارس تفسير التاريخ، دار الكتاب الجامعي _ صنعاء، ٢٠٠٧ م ،
عبد الحكيم غنتاب الكعبي: أوهام المؤرخين (المنهج التاريخي بين النقل والعقل، مجلة دراسات تاريخية، العدد (١٧)، ديسمبر
مصطفى النشار: فلسفة التاريخ نشأتها وتطورها من الشرق القديم حتى توينبي، نيويورك للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، ٢٠١٧،
مصطفى النشار: فلاسفة ايقظوا العالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٦ ،
مفيد الزيدي: المدخل الى فلسفة التاريخ، ط١، ٢٠٠٦، دار المناهج للنشر والتوزيع،
هاشم يحيى الملاح: المفصل في فلسفة التاريخ، دراسة تحليلية في فلسفة التاريخ التأملية والنقدية، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان،
هاجر دوير حاشوش: نظرية حركة التاريخ في الفكر الاسلامي الحديث تعدد الطرح ووحده المضمون، مجلة الأستاذ، العدد ٢١٣
حامد عبد الحمزة محمد علي: جدلية التفسير الأسطوري للتاريخ.

❊ ❊ ❊